تأمين القرن الحادي والعشرين
جيمس د. وولفنسون
الاجتماعات السنوية لعام 2004
واشنطن العاصمة
الأحد، 3 أكتوبر 2004

مقدمة

السيد الرئيس، السادة المحافظون، الضيوف الكرام

أرحّب بكم أجمل ترحيب في اجتماعاتنا السنوية هذه – في السنة الستين بعد إنشاء مؤسستي بريتون وودز.

أتوجه بالتحية لزميلي الجديد رودريغو دي راتو مديراً عاماً لصندوق النقد الدولي. وقد بدأنا هو وأنا العمل الوثيق معاً، وأخذت أقدّر خبرته وحكمته. ونود أنا وزميلي تهنئة صديقي هورست كوهلر على تعيينه رئيساً للجمهورية في ألمانيا – كما نشكره على إسهاماته الكبيرة في عمل مؤسستينا.

لمجموعة البنك الدولي تاريخ حافل نفخر به. فقد أسهمنا في إعادة إعمار العالم عقب الحرب العالمية الثانية وقبل الاضطلاع بدورنا الجديد في السعي لتخفيض أعداد الفقراء في مختلف مناطق العالم. ونحن قوة فاعلة من أجل تحقيق النمو والإنصاف.

ومع أن مساهمات الدول في رأس مال البنك الدولي للإنشاء والتعمير بلغت 11 بليون دولار أمريكي فقط، استطعنا تقديم 400 بليون دولار أمريكي من القروض. كما أن مؤسسة التمويل الدولية التي تم إنشاؤها في عام 1956 قامت بضخ ما مجموعه 67 بليون دولار أمريكي إلى الأسواق الناشئة. وقامت الوكالة الدولية لضمان الاستثمار بإصدار ضمانات بقيمة 13.5 بليون دولار أمريكي. كما أن المركز الدولي لتسوية منازعات الاستثمار عالج 159 قضية قام فيها بالمساعدة في تسوية منازعات من هذا القبيل.

ومن خلال مساهمات الدول المانحة وحصيلة سداد الاعتمادات الممنوحة للدول المقترضة، أتاحت المؤسسة الدولية للتنمية ارتباطات بلغت 151 بليون دولار أمريكي. علماً بأن البلدان المؤهلة للاقتراض من المؤسسة الدولية للتنمية هي موطن لما يبلغ 80 في المائة من أشد سكان العالم فقراً، حيث يعيشون على أقل من دولار أمريكي واحد في اليوم. فالمؤسسة الدولية للتنمية أداة رائعة حقاً تستهدف أن تكون فعالة وخاضعة للمساءلة. وكلي أمل أن تقوم الدول المساهمة في رأس مالها بزيادة مساهماتها في العملية القادمة لتجديد مواردها.

<u>يجب أن نحافظ على قوة المؤسسة الدولية للتنمية.</u>

أشعر بالفخر لما حققناه من إنجازات في السنوات العشر الماضية. قد نكون بلغنا الستين من عمرنا كمؤسسة ولكننا في ريعان الشباب. فنحن مؤسسة موحدة مصممة على تحقيق هدفها المتمثل في "محاربة الفقر بكل جدية."

نسعى لمساندة البلدان المتعاملة معنا بوصفها شريكة لنا، ونحترم ثقافتها وتطلعاتها. كما أننا بذاتنا متنوعون، فجهاز موظفينا يضم أشخاصاً من 140 دولة.

فأكثر من ثلثي المديرين القطريين في مؤسستنا يعملون حالياً في الميدان، كما أن مكاتبنا مرتبطة بواسطة الأقمار الصناعية بما يجعل التواصل عبر الصوت والصورة والتعلّم عن بعد جزءاً لا يتجزأ من كافة أنشطة حياتنا. فنحن من بين أحدث مؤسسات الأعمال على الصعيد العالمي.

وطوال هذه السنوات، سعينا بوضوح لوضع البلدان المتعاملة معنا في موقع قيادة عملية التنمية. فنحن نصغي أكثر مما نتكلم. ولسنا نخشى من أن ننتقد ذاتنا.

نقوم بتقديم الموارد التمويلية للمشروعات ومن أجل المعرفة، ونتيح خبراتنا العملية على الصعيد العالمي لكل من البلدان المتعاملة معنا. كما أن معهد البنك الدولي وبعد توسيعه يسهم بدور أساسي في هذا المجال. وهذا ما تفعله أيضاً بوابة التنمية المنتسبة لمؤسستنا، حيث إنها تتيح على شبكة الإنترنت معلومات عن مشروعات التنمية مع خلاصة خبرتنا العملية في هذا المجال.

قمنا بتوسيع نطاق نهجنا المعتمد بشأن التنمية بما يجعله نهجاً شاملاً. وتصدينا لقضية الديون من خلال خلق مبادرة تخفيض ديون البلدان الفقيرة المثقلة بالديون، كما شرعنا في مكافحة الفساد من خلال العمل مع الحكومات في أكثر من 100 بلد.

فاستراتيجيتنا قائمة على ركيزتين ـ الاستثمار في الناس، وخلق مناخ أنشطة الأعمال المستقر بما يسهل القيام بالاستثمارات وخلق فرص العمل.

العمل مع القطاع الخاص جزء أساسي من أنشطة مجموعة البنك الدولي. ونواصل الاستفادة من مساندة وانتقادات المجتمع المدني المتمتع بالحيوية في مختلف مناطق العالم.

التنمية معنية بالناس. فنحن نركز على الدور الهام للمرأة والشباب في عملية التنمية، كما نركز على الاحتياجات الخاصة للمجتمعات المحلية للشعوب الأصلية، فضلاً عن التركيز على مجتمعات الغجر والأقليات الأخرى المستبعدة. ونساند الاحتياجات الخاصة للمعاقين جسدياً.

كما أن البيئة تحتل مركزاً هاماً في عملنا، فنحن نعرف أن التنمية الحقيقية والدائمة مستحيلة بدون صون كوكبنا.

ونعرف أنه لا يمكننا أن نكون فعالين في عملنا إلا في إطار الشراكة مع الآخرين. وقد مددنا يدنا لمنظمة الأمم المتحدة وكافة الهيئات الأخرى المتعددة الأطراف والثنائية. ومن أجل زيادة تحسين فعاليتنا نقوم بتحسين التنسيق مع الآخرين.

لدينا الكثير مما يجب علينا القيام به. ويبدو أن التحديات والمشاكل لا تنتهي. ولكننا نحرز تقدماً كبيراً، وأود في هذا المقام أن أشكر كافة زملائي على عملهم والتزامهم غير العادي. فليست هناك مجموعة من الناس أكثر قدرة وتكريساً للذات في العمل على تحسين العالم من الفريق العامل في مجموعة البنك الدولي.

واسمحوا لي أيضاً بأن أعبّر عن عميق تقديري للمديرين التنفيذيين في المجلس التنفيذي ولأسلافهم في المجلس على عديد ما قدموه من مساهمات بناءة. فهم يقومون بدور حيوي ولكنه صعب أحياناً كمسؤولين كبار في مؤسستنا وكمندوبين عن البلدان التي يقومون بتمثيلها.

عالم غير آمن

في الاجتماعات السنوية الماضية، تحدثت إليكم في العديد من الموضوعات، بما في ذلك: التحدي الماثل في ضرورة اشتمال الجميع، وسرطان الفساد، وأهمية التنمية الشاملة، والحاجة إلى توازن عالمي جديد بين الأغنياء والفقراء.

وأود اليوم أن أبحث ما قد يكون أصعب تحدٍ في السنوات القادمة. كيف نقوم بتحسين إدارتنا للقضايا العالمية الكبيرة – وهي: الفقر، وعدم الإنصاف، والبيئة، والتجارة، والمخدرات غير القانونية، والهجرة، والأمراض، وأيضاً الإرهاب؟

قمنا في هذه السنة بالإبلاغ عن معدلات نمو اقتصادي قياسية. ومع ذلك مازلنا بصورة ما نشعر بأننا أقل أمناً وطمأنينة فيما يتعلق بالمستقبل. ففي أعماقنا هاجس ملحّ فيما يتعلق بالطريقة التي يتطور فيها العالم.

فكل ما ينبغي على المرء فعله هو النظر إلى الحواجز الإسمنتية المحيطة بهذه المباني لكي يفهم الفرق الكبير عن السنوات الماضية. فليست هذه الحواجز قائمة لإبعاد المحتجين. بل هي قائمة لإبعاد الإرهابيين. فقد أظهر جهاز كمبيوتر تم العثور عليه في باكستان أن البنك والصندوق الدوليين هما من بين الأماكن التي يستهدفها تنظيم القاعدة. فقد وصل الإرهاب إلى عتبة دارنا.

شاهدنا في السنوات الأخيرة أشياء تجعلنا نرتاب في إنسانيتنا الأساسية. حرب دموية في أفغانستان والعراق وأجزاء كبيرة من أفريقيا. التطهير العرقي والقتل الفظيع في دارفور. أعمال إرهابية خسيسة في بالي وفي مدريد. العنف المتزايد بين إسرائيل والفلسطينيين في قطاع غزة والضفة الغربية. وفي بيسلان، رأينا الأطفال يؤخذون رهائن وتطلق النار على ظهورهم. وفي بغداد، يجري قطع رؤوس الأبرياء بصورة وحشية.

وفي إطار رد الفعل لكل ذلك، أصبح الأمن شغلنا الشاغل. ومن الصحيح على وجه الإطلاق أن نحارب الإرهاب. وعلينا أن نفعل ذلك. غير أن الخطر هو أن انشغالنا بهذه الأخطار المباشرة قد يجعلنا نفقد رؤية الأمد الطويل وقضايا بنفس الدرجة من الإلحاح في عالمنا غير الآمن وهي: الفقر والإحباط وفقدان الأمل.

في العقد الماضي من السنين، قمنا أنا وزوجتي إلين بزيارة أكثر من مائة بلد. وقابلنا فقراءً في كافة هذه البلدان – في قرىً وفي البلدات المبنية من الأكواخ، وفي مناطق ريفية قاصية، وفي أحياء الفقراء.

فهم مثّلنا جميعاً من الحضور في هذه القاعة، يودون أن يحيوا بأمان وسلام. فالنساء يردن بناء حياتهن دونما تعرض للعنف داخل وخارج منازلهن. والفقراء يريدون أن يحصل أطفالهم على التعليم اللازم. ويريدون أن يكون لهم صوت مسموع، وأن يحظوا بالاحترام. ويريدون أيضاً الاحتفاظ بسلامة ثقافتهم الحضارية. أي أنهم يريدون أن يكون لهم أمل في هذه الحياة.

يريدون الأمن – ولو أنهم لا يعرّفونه بالطريقة التي نعرّفه بها. فبالنسبة لهم، ليست القضية حواجز إسمنتية أو القوة العسكرية. بل هو بالنسبة لهم فرصة الخلاص من براثن الفقر.

يجب أن نكافح من أجل إنهاء الفقر إذا أردنا تحقيق الاستقرار العالمي. فمنذ مؤتمر بريتون وودز، ومروراً بلجنة بيرسون ولجنة براندت ولجنة برنتلاند، وحتى بيانات زعمائنا في جمعية الألفية لعام 2000 - واليوم - يؤكّد الجميع على أن القضاء على الفقر أمر جوهري لتحقيق الاستقرار والسلام.

فهو ما زال التحدي البارز في عصرنا هذا.

بوسعنا التصدي لهذا التحدي

فنحن نعرف أن التنمية تنجح. ففي عقدي السنين الماضيين فقط هبطت نسبة من يعيشون في أوضاع الفقر في عالمنا بنسبة النصف – من 40 في المائة إلى 21 في المائة. كما زاد العمر المتوقع عند الولادة في البلدان النامية بواقع 20 سنة. أما أمّية البالغين فقد خُفّضت إلى النصف حيث أصبحت نسبتها 22 في المائة.

قمنا أنا و زميلي فرانسوا بورغينون، رئيس الخبراء الاقتصاديين في البنك الدولي، بنشر دراسة من أجل اجتماعاتنا هذه تلقي نظرة على ما فات وتستشرف ما هو آت من التحديات التي تواجهنا في المستقبل.

يمكننا الاستفادة من هذه الدروس والبناء عليها. ففي مؤتمر شانغهاي الذي قمنا بتنظيميه مع الحكومة الصينية في وقت سابق من هذا العام، تبادلت البلدان النامية خبراتها فيما يتعلق بما ينجح وما لا ينجح. وأظهر ما يزيد على 100 من دراسات الحالات أن من الممكن سريعاً تعجيل خطوات التنمية إذا عاملنا الفقراء كقوة من أجل التغيير وليس كهدف للإحسان.

شارك العديدون منكم في اجتماعات الدوحة ومونتيري وجوهانسبورغ. وقطعت البلدان المتقدمة وعوداً فيما يتعلق بالمعونات والتجارة وتخفيض أعباء الديون. واسمحوا لي أن أضيف أننا نؤيّد جداً المقترحات الخاصة بالمعونات وتخفيض الديون، والتي عرضتها الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وفرنسا والبرازيل وبلدان أخرى. ووعدت البلدان النامية بفعل المزيد لبناء قدراتها ومؤسساتها وتدعيم أطرها القانونية والقضائية، مع تحسين الأنظمة المالية والشفافية، ومكافحة الفساد.

سنلتقي في الأمم المتحدة في السنة القادمة لاستعراض مدى التقدم المحرز في الوفاء بالأهداف الإنمائية للألفية الجديدة ـ فلم يتبق سوى عشر سنوات على حلول عام 2015. وبفضل الصين والهند، نعرف أن من المرجح الوفاء بالهدف العام المتمثل في تخفيض أعداد الفقراء بنسبة النصف. غير أننا نعرف أيضاً أن معظم البلدان لن تفي بالأهداف الأخرى. فأفريقيا بصورة خاصة ستتخلف كثيراً عن غيرها في هذا المجال.

فما الذي نفعله في هذا المقام؟ ما الذي سيفعله أبناؤنا في عالم يمكن أن يكون أكثر اختلالاً في عام 2015 مما هو الآن ـ وقد يكون أقل أمناً؟

أعتقد ـ سيدي الرئيس ـ أنه علينا أن نضاعف جهودنا كمجتمع دولي. ويجب علينا أن نقوم بعملنا بصورة أفضل في إدارة القضايا العالمية الأساسية التي ستحدد مستقبلنا. وكما أرى هذا الأمر، هناك ثلاث أولويات ملحة:

- حماية كوكبنا ـ من خلال تحسين إدارة شؤون البيئة؛
- تصعيد جهود تخفيض أعداد الفقراء؛ و
- توعية الشباب بصورة مختلفة بما يُعدّهم للقرن الحادي والعشرين ـ وبما يعطيهم الأمل.

اسمحوا لي أن أتحدث عن كل من هذه الأولويات.

حماية كوكبنا: استمرارية البيئة

أولاً، حماية كوكبنا.

يجب علينا تشجيع تحقيق النمو مع الوعي الكامل بالمنظومات الطبيعية التي تعتمد عليها حياتنا. فالنمو الاقتصادي لا ينبغي أن يكون على حساب البيئة الطبيعية. بل هما يعملان معاً.

يجب علينا جميعاً أن نقوم بتحسين عملنا في حماية كوكبنا، حيث أن بيئته هشة، وأيضاً في معالجة الاحترار العالمي. مضى على مؤتمر ستوكهولم المعني بالبيئة ثلاثة عقود من السنين، غير أن طريقة إساءتنا لاستخدام كوكب الأرض منذ ذلك الحين مثيرة للذعر على الرغم من إحراز تقدم في بعض المجالات.

أفرط سكان بلدان العالم الغنية في استخدام وهدر كميات هائلة من مصادر الطاقة. فالأمريكي أو الكندي العادي يستخدم قدراً من الطاقة يفوق بواقع 9 أمثال ما يستخدمه الصينيّ العادي و 12 مثلاً ما يستخدمه الأفريقي العادي. ومع تغيّر المناخ، سيكون الفقراء في الدول الجزيرية الصغيرة وبلدان أمريكا اللاتينية وبلدان جنوب آسيا وأفريقيا جنوب الصحراء الأكثر عرضة للمعاناة نتيجة الدمار الحاصل بفعل الجفاف والفيضانات.

فالغابات تتعرّض لقطع أشجارها بدون توقف. وأصبح ربع الحيوانات الثديية وثلث الأسماك إما عرضة للانقراض أو مهدداً بخطر الانقراض الفوري. كما تم قتل 90 في المائة من الأسماك الكبيرة في المحيطات.

سيدي الرئيس، لقد أثبتنا أننا أقدرُ على أن نهدّد كوكبنا من أن نصونه.

واتضح ذلك لي جلياً قبل أسبوعين عندما زارنا مزارع فقير ولكنه فخور يعيش قرب ماتشو بيكتشو في مرتفعات بيرو. كان موجوداً في واشنطن لحضور افتتاح المتحف الوطني للهنود الأمريكيين مع آلاف آخرين من ممثلين عن الشعوب الأصلية، وكان لدينا في البنك الدولي لقاء حول الثقافة والتقاليد الحضارية والتنمية في إطار الاحتفال بافتتاح ذلك المتحف.

كان يلبس القبعة الصوفية والملابس التقليدية، وكان وجهه كالجلد المدبوغ أثرت فيه سنوات من العيش في مناطق مرتفعة. وأخبرني وهو يتحدّث بلغة الكويتشاو الوطنية أن جبال منطقته " حزينة ". فالجموديات (Glaciers) التي تشكلت عليها لآلاف السنين كانت هي الابتسامة على وجهها، وهي حالياً تتضاءل مع مرور السنين حسبما قال. ومع انحسارها ليست هناك المياه اللازمة لإعادة ملء البحيرات والأنهار. وتعاني الحيوانات – فحجم إنتاج حيوانات الألباكا أصبح نصف ما كان عليه. كما أن دخل الوادي انخفض بنسبة النصف، وأخذ المزارعون في هجر مواطنهم والنزوح عنها.

وهكذا كان لدى ذلك الرجل القادم من ماتشو بيكتشو سؤال بسيط: " هل بإمكانكم مساعدتي على استعادة الجموديات التي كانت لي؟ ".

فبالنسبة للذين يشكّون في أثر الاحترار العالمي، كان سؤال ذلك الرجل صرخة طلباً للمساعدة. فتلك ليست قضية أمد طويل مجردة غير ملموسة. بل هي قضية ينبغي الاهتمام بها مباشرة. فهي بالنسبة له قضية أمن.

ربما كان هناك من يسمع صيحته. وإنني أرحب بالقرار الذي اتخذته الحكومة الروسية في الآونة الأخيرة لإبرام برتوكول كيوتو. فلنبني على هذا الجهد وإشارات المساندة الأخرى ونستفيد منهما في الحصول على التزام سياسي من قادتنا بالقيام بمسؤولياتنا التي جرى الاتفاق عليها في قمة جوهانسبورغ.

التحديات البيئية تؤثر فينا جميعاً، ولكن الفقراء هم المعرضون للمعانة بصورة خاصة. ويجب علينا إيلاء الأولوية للطاقة المتجددة. فالتكنولوجيات الجديدة والنظيفة يمكن أن تسهل للفقراء تحقيق منافع التنمية دون الاضطرار إلى مواجهة التكاليف البيئية نفسها التي عانت منها البلدان المتقدمة.

<u>علينا الوفاء بوعدنا في صون كوكبنا.</u>

تصعيد الحرب على الفقر

المجال الملح الثاني الذي يجب علينا أن نفي بوعدنا فيه هو تصعيد جهود تخفيض أعداد الفقراء.
نعرف كافة الحقائق الأساسية. فنصف سكان العالم يعيشون على أقل من دولارين أمريكيين اثنين في اليوم. ويعيش خمس سكان العالم على أقل دولار أمريكي واحد في اليوم. وفي السنوات الخمس والعشرين القادمة، سيزداد سكان العالم بواقع بليوني نسمة - 97 في المائة منهم في بلدان نامية، ومعظمهم يولدون في أوضاع الفقر.

في العقد الماضي من السنوات حدثت ثورة هادئة في فعالية المساعدات الإنمائية، فقد أصبحت البلدان هي المالكة لبرامجها الذاتية، كما أصبح تركيز المعونات منصباً على جودة السياسات، وازداد التنسيق فيما بين البلدان والجهات المانحة. وهذه التغييرات في مجموعها يمكن أن تساعد في مضاعفة أثر المعونات في السنوات العشر القادمة أو زيادته إلى ثلاثة أمثاله.

بوسعنا أيضاً مضاعفة أثر المشروعات للوصول إلى المزيد من الناس. فكما تعلمون، هذه قضية حقيقية تواجه البنك مثلما تواجه شركاءنا. فنحن ننجز مشروعاً لبناء خمس مدارس، أو نقوم بإنشاء 100 ميل من الطرق، أو تنفيذ عشر برنامج لمجتمعات محلية ـ ولكن ما نحتاجه هو 5000 مدرسة أو 10,000 ميل من الطرق أو 5,000 برنامج لمجتمعات محلية.

تعلمنا في مؤتمر شانغهاي كيف يمكن البناء على مشروعات صغيرة وناجحة ـ ومن ثم تصعيدها. وما كان مشتركاً فيما بينها جميعاً هو اتساق الإدارة طوال مدة من السنوات، والنماذج البسيطة القابلة للمحاكاة، فضلاً عن مشاركة الفقراء فيها.

رأيت ذلك يحدث بأم عيني.

ففي عام 1996، أثناء زيارتي للصين، قابلت امرأة من هضبة ليس (Loess) حيث ساندنا مشروعاً زراعياً في تلك المنطقة الجبلية القاحلة. فهي كانت تعيش في مغارة دونما كهرباء أو مياه جارية ودون احتمال القدرة على تحسين حياتها.

في ربيع هذا العام، التقيتها ثانية في جو مشحون بالعواطف، وأخبرتني عن مدى التحسّن في حياتها وعن أنه أصبح لديها كهفان وأبواب ونوافذ ومياه وكهرباء. كما أخبرتني عن شراء دراجة نارية لابنها، وأن ابنها وجد زوجة له، وعن تطلّعها لإرسال ابنتها إلى المدرسة.

كانت تلك السيدة واحدة من ثلاثة ملايين شخص مثلها وجدوا الأمل من خلال سلسلة من 32 مشروعاً مماثلاً في

تلك الهضبة تم إنجازها في مدة عشر سنوات. وهي مشروعات قام بتنفيذها آلاف الأشخاص مستخدمين الرفش والمعول لتحويل الأراضي الجبلية إلى تربة صالحة للزراعة. ولم تعد تلك المنطقة جافة ومتوعدة بالأخطار، بل أصبحت مُخضرّة وحافلة بالمحاصيل والحيوانات.

قمنا مع شركائنا الصينيين بإدارة هذه المشروعات لمدة عشر سنوات، مع تكرار المشروعات والاستفادة من الدروس المكتسبة. ويجري الآن تطبيق هذه الدروس في أماكن أخرى في الصين لفائدة الملايين من الناس الذين يعيشون على أراض هامشية.
الرسالة هنا واضحة ـ وهي أنه من الممكن تصعيد تخفيض أعداد الفقراء ومن ثم زيادة أمن العالم.
الشباب والتعليم

الفقر موضع قلق كبير بالنسبة للشباب طبعاً ـ والشباب هم القضية العالمية الثالثة التي أعتقد أن من الضروري معالجتها بصورة عاجلة.

حوالي نصف سكان العالم وهم من فئة الشباب دون سن 24 سنة. كما أن نصف الإصابات الجديدة بفيروس مرض الإيدز والبالغة 14000 إصابة في اليوم الواحد تحدث بين الشباب من سن 15-24 سنة. ولم يتمكن ما يزيد على 50 في المائة من الشباب في سن العمل من الحصول على فرصة للعمل. ومن المثير للذعر أن الشباب ينخرطون بصورة متكررة في الصراعات ـ إما كضحايا أو كجنود، وفي كلا الأمرين مأساة.

فما الذي يمكننا أن نفعله من أجلهم ومن أجل أنفسنا مما يؤدي إلى السلام؟

من الأمور التي تعلمتها ضرورة إشراك الشباب في العثور على الحلول. ففي الشهر الماضي، التقيت في مدينة سراييفو قادة الشباب من 83 بلداً، وأدهشتني رغبتهم الحقيقية في بناء مستقبل أفضل قوامه الانسجام والاحترام والسلام. فالشباب البوسنيون والصربيون والكرواتيون الذين التقيتهم كانوا تواقين لوضع ماضي بلادهم خلف

ظهورهم. ولكنهم شكوا من أن الكبار في السن مازالوا يمسكون الشباب ويمنعونهم من نسيان الماضي. فكما فعلوا في مدينة باريس في السنة الماضية، أخبروني أنهم ليسوا المستقبل، بل هم الحاضر.

يجب علينا مساندة الشباب من خلال التعليم والتوعية بما يؤدي إلى تحسين العالم. وهذا ما يبدأ بتنمية الطفولة المبكرة حيث أننا نعرف أن مستقبل الطفل يتحدد بدرجة كبيرة في السنوات الست الأولى من حياته.

أشعر بالفخر لأن البنك في الطليعة في هذا المجال. فقد استثمرنا ما يزيد على بليون دولار أمريكي في تعليم الأطفال، كما نتيح خبرتنا المكتسبة على الصعيد العالمي للجميع من خلال موقعنا على شبكة الإنترنت.

كما ننشط في السعي لتحقيق الهدف ـ من بين الأهداف الإنمائية للألفية الجديدة ـ المتعلق بالتحاق كافة الأطفال بالمدارس الابتدائية بحلول عام 2015. ولكن علينا أن ندرك أن التعليم ليس مجرد التحاق الأطفال بالمدارس. فنوعية ومضمون التعليم أمر أساسي ـ فضلاً عن ضرورة بقاء الأطفال في المدارس وعدم تركها.

ومن الضروري أن يتعلم الأطفال في البلدان المتقدمة والبلدان النامية أيضاً عن بعضهم البعض. فما أخشاه هو أن الكثير من المحتويات التعليمية الآن تدعو إلى الكراهية التي من غير الممكن الحد منها وعكس مسارها في السنوات اللاحقة.

إتاحة التعليم الجيد النوعية للأطفال ليست الشيء الصحيح الذي ينبغي فعله فحسب، بل لها أثر تنموي هائل. ولو انتظم في المدارس الابتدائية 115 مليون طفل غير ملتحقين بها حالياً لأمكن في العقد القادم من السنين تفادي 7 ملايين اصابة جديدة بفيروس مرض الإيدز. ومن أجل ذلك قمنا قبل سنتين ببدء تنفيذ المبادرة المسرّعة ـ وذلك لتعجيل خطى القدرة على الالتحاق بالمدارس الابتدائية بالنسبة للأطفال غير الملتحقين بها حالياً. فما هي الخبرة العملية التي اكتسبناها؟

يقدّر البنك الدولي وجود حاجة لتدفقات إضافية تبلغ 3.6 بليون دولار كل سنة لمدة بضع سنوات قادمة لضمان إتمام كافة الأطفال لمرحلة التعليم الابتدائي. مما يبلغ 1200 دولار أمريكي لكل فصل يتضمن 40 تلميذاً بما يغطي تكلفة المعلّم والكتب المدرسية وغرفة الصف، أو 30 دولاراً أمريكياً في السنة لكل طفل غير ملتحق بالمدرسة حالياً. وهذا بالمقارنة مع 150 دولاراً أمريكياً للشخص الواحد من الإنفاق العسكري والإنفاق لأغراض الدفاع.

ومن المحزن أن المجتمع الدولي لم يتمكن حتى الآن من تعبئة الأموال اللازمة. فنحن نخيب آمال أبنائنا مثلما فعلنا في جومتين في عام 1990 وفي داكار في عام 2000، ومرة أخرى في مونتيري في عام 2002.

الواقع أننا لم نفِ بوعودنا.

القيادة العالمية في القرن الحادي والعشرين

سيدي الرئيس، هذه القضايا ـ حماية كوكبنا، وتصعيد الحرب على الفقر، وتعليم شبابنا ـ هي من بين القضايا الحاسمة الأهمية من أجل زيادة أمن العالم. ونحن نعرف ما ينبغي فعله. فلماذا لا يحدث ذلك.

أعتقد أن سبب ذلك لأننا كمجتمع دولي لا نقوم بإدارة القضايا العالمية بصورة جيدة. ومع ذلك نجد أن أهم القضايا التي تواجهنا حالياً هي قضايا عالمية أكثر من أي وقت مضى وليست محلية، كما أنها طويلة الأمد وليست قصيرة الأمد.

الطريقة التي يعمل بها نظامنا حالياً هي الاتفاق على الأهداف في سلسلة من اللقاءات العالمية. الاتفاق على كل شيء بدءاً بالأهداف البيئية ومروراً بأهمية المساواة بين الجنسين وحتى التعليم. وفي السنوات الأخيرة، وفي ظل القيادة البارعة التي يمارسها الأمين العام للأمم المتحدة السيد كوفي عنان، قامت الأمم المتحدة بعقد عدد من المؤتمرات الدولية. ففي عام 2000 كما نعلم جميعاً، وضعت جمعية الألفية أهدافاً من المقرر تحقيقها بحلول عام 2015، وتم اعتمادها بالاجماع.

ثم تقوم حكومات الدول بمساندة من هيئات دولية ومؤسسات مسؤولة بالسعي لتحقيق تلك الأهداف. وكل خمس سنوات أو نحوها، يتم عقد لقاء عالمي لاستعراض مدى التقدم المحرز. وعادة ما يتوصل ذلك الاجتماع إلى أننا لم نحقق الأهداف. ويجري تحديد أهداف جديدة. ثم يُلقى اللوم ويُكال المديح ونقرر ما ينبغي فعله في السنوات الخمس القادمة.

وفي السنوات الخمس تلك، تُمضي مجموعات مختلفة من رؤساء الدول ووزرائها يوماً أو يومين في السنة لمناقشة هدف أو التزام من بين الأهداف والالتزامات العالمية الأخرى. ومن أنصع الأمثلة على اجتماعات سنوية من هذا القبيل هو اجتماع مجموعة الثمانية. ولكن هناك اجتماعات أخرى كثيرة منها: مجموعة العشر، ومجموعة العشرين، ومجموعة الأربع وعشرين، ومجموعة السبع وسبعين. وهناك مجموعات إقليمية تضم زعماء في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية وأوروبا وأماكن أخرى.

على الرغم من أن هذه اللقاءات أسهمت في تحقيق مكاسب ضخمة في التنمية في عقود السنوات الماضية، نجد أنفسنا نقصّر في إنجاز الأهداف التي وضعناها. ولذلك، نحتاج إلى قيادة أقوى وإلى المزيد من المشاركة المستمرة فيما يتعلق بالقضايا العالمية الأساسية.

والواقع أن هذه هي الفكرة التي استدعت وجود مجموعة السبع حين تم انشاؤها قبل ربع قرن. فقد نجمت عن إدراك زعماء البلدان الرئيسية أنهم كانوا يحتاجون إلى تخصيص يومين في السنة للنظر في القضايا العالمية الطويلة الأمد. فاجتماعاتهم بارزة وهامة وهي تستلفت انتباه العالم بأسره لقضايا رئيسية.

ولكن التحديات العالمية ازدادت الحاحاً. وتغير التوازن بين البلدان المتقدمة والبلدان النامية في العالم تغيراً كبيراً في السنوات الخمس والعشرين الماضية، وسيتغير في المستقبل كثيراً أيضاً.

ولربما كان بوسع زعماء مجموعة الثمان التي أنجزت الكثير اللقاء مرّات أكثر مع تمثيل أوسع نطاقاً لمناطق العالم الأخرى بحثاً عن سبل جديدة لمساندة القضايا العالمية الملحة. ويمكن بهذه الطريقة الإبلاغ عن مدى التقدّم المحرز على الصعيد العالمي، والإعلان عن الجهود الرامية لتحقيق الأهداف المرجوة، مع المساعدة في التأكّد من الوفاء بالوعود المقطوعة.

اسمحوا لي أن أوضح ما يلي: لست في هذا المقام أقترح حكومة عالمية. بل أقول ببساطة أن من الضروري حيثما كان هناك اتفاق في المجمع الدولي على القيام بإجراءات محددة رصد القيام بها بصورة منتظمة، ورفع التقارير عن التقدم المحرز والإعلان عن الجهود المبذولة سعياً لتحقيق تلك الأهداف.

ففي عالم اليوم لسنا مواطنين في دول وفقط، بل نحن مواطنون عالميون. فبدون توسيع نطاق المشاركة الواضحة عن طريق القيادة العالمية لن نتمكن من تحقيق النجاحات التي نحتاجها لضمان أمن وسلام حقيقيين.

خاتمة: الوعود الواجب الوفاء بها

سيدي الرئيس، نحن عالم واحد. فالإضرار بالبيئة في مكان ما هو إضرار بها في كل مكان. والفقر في أي مكان هو فقر في كل مكان. والإرهاب في أي مكان هو إرهاب في كل مكان. وإذا حصل تفجير في بالي أو مدريد أو موسكو، ترتعد فرائصنا جميعاً. ونشعر جميعاً بانعدام الأمن.

تحقيق الإنصاف والسلامة في عالمنا قضية ينبغي أن نتفق عليها جميعاً، ونحتاج إلى قيادة عالمية وسياسية لفعل ذلك. هذه هي الطريقة الوحيدة التي يمكن أن نفي من خلالها بوعودنا للمزارع من ماتشو بكيتشو، والمرأة من هضبة ليس، والشباب من مدينة سراييفو.

هذا من واجبنا تجاه أنفسنا، ومن واجبنا تجاه أبنائنا، وهو الخيار الذي يجب أن نختاره من أجل السلام والأمن.

وشكراً لكم.